# عريب المأمونية

# شادية البلاط الملكي

هي واحدة من أشهر الجواري اللواتي برعن في الغناء والطرب، حتى تنافس الأمراء والملوك على شرائها والاحتفاظ بها، ولقد استحقت عن جدارة أن تُوصف بأنها "شادية البلاط الملكي".

ولدت عام ١٨١ هجري، واستطاعت من خلال نبوغها ومواهبها الفذة: أن تصل إلى ما لم تصل إليه جارية من قبل في الرفعة والمجد.

ومع ذلك، فقد كانت طفولتها بائسة!

كانت أمها فاطمة الصبية المليحة ذات الحسن والبهاء، مجرد جارية ملوكة لزوجة يحيى البرمكي، فلما رآها جعفر بن يحيى: تعلق قلبه بها من النظرة الأولى، لكن الجارية الصغيرة استعصت، كانت تعرف مكانتها الضئيلة في البيت الكبير، فجزعت من هذا الحب غير المتكافئ، وما ينتج عنه من مصير محتوم، فتمنعت على جعفر، لكن هذا التمنع لم يزده إلا عشقاً، حتى تملكته مشاعره وطغت عليه، فذهب إلى أم عبد الله، صاحبة أمرها، وطلب منها أن

تزوجه فاطمة، فوافقت، وأثمر هذا الزواج عن طفلة جميلة، سماها أبوها "عريب". لكن يحيى البرمكي سرعان ما علم بالأمر، فلم يعترف بهذا الزواج، ونقم على ابنه بسبب فعلته الشنعاء، بل أقسم أن ينتقم من فاطمة لتجرؤها على الزواج من أسيادها: بقتلها هي والطفلة، كانت ثورته عاتية، فلم يستطع أحد أن يثنيه عن غضبه، وأخذ يضيّق على فاطمة عيشتها ويعذبها بالاضطهاد، إلى أن ماتت، حينئذٍ، أخذ يحيى الطفلة البريئة فحملها سراً إلى امرأة نصرانية، فوضعها عندها وجعلها داية لها، على أن يتحمل نفقاتها، ثم دارت الأحداث حتى وقعت مذبحة البرامكة، ومات يحيى، ورأت المرأة النصرانية أنها والطفلة أصبحتا بلا معين، فباعت "عريب" إلى رجل اسمه "سنبس" وباعها هذا إلى "المراكبي" فأخذها المراكبي وسافر بها إلى البصرة، وهناك أحضر لها أكبر العلماء، فعلموها الخط والنحو والشعر والغناء، وغير ذلك من العلوم والفنون، فبرعت في ذلك كله، وأتقنت صنعة الغناء والعزف على الأوتار، كما تميزت في الأدب وإلقاء الشعر بالإضافة إلى براعتها في لعبة الشطرنج، وأصبحت عريب بعد فترة قليلة من أشهر المغنيات، فقد كانت بالإضافة إلى جميع محاسنها: خارقة الجمال.

ولعل شهادة إسحق الموصلي، الأستاذ العلامة البارع الذائع الصيت: أبلغ من أي وصف، فقد قال حماد بن إسحق الموصلي:

قال أبي: ما رأيت امرأة قط أحسن وجهاً وأدباً وغناءً وضرباً ولعباً بالشطرنج والنرد من عريب، وما تشاء أن تجد خصلة حسنة طريفة بارعة في امرأة إلا وجدتها فيها.

ولما اشتهرت عريب وازداد معجبوها، اشتراها الخليفة الأمين، فلما قُتل: هربت عريب إلى مولاها عبد الله بن إسماعيل المعروف بالمراكبي، فظلت في بيته إلى أن اشتراها المأمون بخمسين ألف درهم، وهناك في قصر المأمون: بدأت عريب مرحلة جديدة من حياتها، فما إن وقعت عيناها على الخليفة حتى مالت إليه، فأخذت تتفرس فيه بعين حاذقة لماحة، تحاول أن تضع يدها على نقطة انطلاقها، على منفذ تنفذ منها إلى أغوار مشاعره، راحت تتفنن في غوايته، حتى وقع الخليفة في حبها، هو العظيم ذو الجاه والسلطان، ذو القوة والعزم، الحكيم، أكثر الخلفاء علماً وثقافة وأدباً وفقهاً ــ بشهادة التاريخ ــ هذا الرجل الذي اجتمعت فيه كل الصفات النبيلة، تردّى في هوى جاريته عريب، حتى تخلى عن وقاره، بل ويذكر أنه قبّل يوماً قدميها على رءوس الأشهاد.

إلى هذا الحد ــ وأكثر ــ طغيان الحب!

وبسبب هذا الغرام العنيف لُقبت عريب بـ"عريب المأمونية" نسبة إلى الخليفة المأمون.

وبعد وفاة المأمون اشتراها المعتصم بمائة ألف درهم، وظلت تنتقل من خليفة إلى خليفة حتى انتهت إلى المعتز.

ويذكر المؤرخون: أنه لم توجد مغنية في أي عصر من العصور، نالت ما نالته عريب من الجاه والحظوة لدى كبراء الدولة وندماء الخلفاء والأعيان.

obeikandl.com